بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون ولو كره المشركون والملحدون .

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي من عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير.

اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] .

إِلهِي إِنْ يَكُن ذَنبِي عَظِيمَاً ... فَعَفوُكَ يَا إِلَهَ الكَونِ أَعظَمْ

فَمِمَّنْ أَرتَجِي مَولايَ عَطفَاً ... وَفَضلُكَ وَاسِعٌ لِلكُلِّ مَغنَمْ

تَرَكتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ وَرَائِي ... وَجِئتُ إِلَيكَ كَي أَحظَى وَأَنعَمْ

فَعَامِلنِي بِلُطفِكَ وَاعفُ عَنِّي ... فَإِنْ تَغضَبْ فَمَنْ يَغفِرُ وَيَرحَمْ

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة يا الله، وعمنا جميعاً بفضلك العظيم، اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من

السلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني ربي من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: ما زلنا وإياكم نتحدث في سلسلة خطب عن التغيير، كيف يستطيع الإنسان المؤمن أن يغير نفسه؟ كيف يمكن له أن يرتقي بحاله؟ كيف يمكن أن تحسن صلته بالله سبحانه وتعالى؟ كيف يتمكن من تحسين العلاقة والمعاملة بينه وبين أخيه المؤمن؟ كل ذلك إنما ينعكس سلوكاً على جوارحنا وواقعنا، إذا سبقه تفكير سليم، وإذا سبقته عقيدةٌ صحيحة ينطلق الإنسان من خلالها، لأن الفعل وردة الفعل هما عِبارةٌ عن فكر يسبق هذا الفعل، فيجب أن نعلم أننا في هذه الحياة مُستهدفون، وأن عدوّنا الأوّل -قبل أن نتكلم عن المؤامرات الخارجية لأعداء الإسلام، وقبل أن نتكلم عن ما يحيط بنا من فتنٍ ومشاكل- عدونا الأول هو الشيطان، وللأسف نعلم قصته جميعاً بأنه أبى السجود لأبينا آدم عندما أمره الله، وبعد ذلك توعّد أن يغوينا أجمعين إلا عباد الله المخلصين، وقلنا في الخطبة الماضية: إنه نجح في هذه المهمة، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] إلى غير ذلك، وأمرنا الله أن نتخذه عدواً، فاتخذه كثير من المؤمنين صديقاً، يُوسوس وينجح في وسوسته، يُملي لابن آدم ويمنّيه وينجح في إملائه وتمنيته، فترى الإنسان يَغفل عن الله تعالى ويتبع في كثير من مفاصل حياته أهواءه الشخصية ونفسه الأمارة بالسوء بإيعازٍ وتمنيةٍ -كما جاء اللفظ القرآني- ووعدٍ من الشيطان، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

وقد سألني كثيرٌ مِن الشباب بعد الخطبة الماضية: كيف السبيل وقد فهمنا ذلك وعرفناه؟ كيف السبيل إلى النجاة من هذا الشيطان؟ فقلنا لهم: قد روينا لكم حديث الترمذي، وهو قوله ﷺ: ((لا يُحرز العبد نفسه من الشيطان إلا بذكر الله

عز وجل)) رأينا أن كل مرفقٍ من مرافق حياتنا أمرنا الله أن نَستعيذ به من الشيطان وأن نكون مع الله، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]:

-عندما يخرج الإنسان من بيته يقول: ((بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله)) يَقول رسول الله ﷺ: ((إذا قال ذلك قال له الملائكة: كُفيت ووقيت، وتنحّى عنه الشيطان)).

-عندما يَدخل الخلاء يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)) الخُبُث جمع خبيث، أي الجن والأبالسة والشياطين الخبثاء، والخبائث جمع خبيثة، وهي الأنثى من الجنّ، حتى عندما نَدخل الخلاء أمرنا الله أن نَستعيذ من الجن والشياطين والأبالسة، ذكورهم وإناثهم.

-عندما يأتي الرجل أهله في الفراش يقول: ((اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا)).

-أمرنا رسول الله أن نقرأ سورة البقرة في بيوتنا، وقال: ((إن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة يَهرب منه الشيطان)).

والسؤال: عندما نفتح كتاب الأذكار للإمام النووي ونقرأ الأدعية اليومية والأذكار الراتبة، كم واحداً مِنَّا يُطبق هذه الأذكار؟ والسؤال الثاني: هل نطبّقها جميعها أم جزءاً منها؟ السؤال الثالث: عندما تأتي الوسوسة من الشيطان هل نعمل بأمر الله عزّ وجل القائل: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، قال لك: قُم فاعصِ الله، قم واذهب مع البنت الفلانية، افتح المواقع الإباحية على شبكة التواصل الاجتماعي، اذهب أنت وصديقتك لتسهرا بمعصية الله تعالى، قُم فَضَيّع أوقاتك، السؤال: هل تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فتقوم فتتوضأ كما أمر رسول الله ﷺ وتذكر الله عز وجل ثم تبقى سيطرة هذا الشيطان عليك؟ سألتُ هذا الشاب، قال لي: والله بصراحة لا، قلت له: كيف تُريد أن تُحرز نفسك

من الشيطان وأنت لم تعمل بوصية سيد الخلق مُحَمَّد ﷺ: ((لا يحرز العبد نفسه من الشيطان إلا بذكر الله))، هل المطلوب شيء كبير يحتاج إلى جهود عظيمة وإلى قتال وإلى بذلٍ للأرواح والمُقل والأنفس وإراقة الدماء من أجل أن تعاند هذا الشيطان، أن تعاند عدواً لك؟ والله شيء عجيب، لا شك أن الأمر ليس سهلاً بل هو جلل، مُجاهدة النفس الأمارة بالسوء والشيطان ليس بالأمر السهل، نحن لا نُقلل من أهمية الموضع، وفي نفس الوقت لا نقول لك يا أخي: إن المطلوب منك شيء عظيم، فتصور حتى هذه الأشياء البسيطة المطلوبة مِنك لا تقوم بفعلها، وتريد بعد ذلك أن تستنجد بالشيخ أو العالم أو طالب العلم، وتقول: كيف الحل؟ كيف السبيل؟ حَاولت مراراً وتكراراً أن أترك المعاصي والآثام ولا أُفلح، وهذا كله أو جلُّه من النفس الأمارة بالسوء ومن الشيطان، كيف السبيل؟ السبيل سهل، واعلم يا أخي المؤمن أننا قد وصلنا الإسلام على طبق من ذهب إلى هذه البلاد، في هذه البلاد المباركة التي ندوس فوق أرضها استشهد عشرات آلاف، ليس مِن المسلمين العاديين من صحابة النبي ﷺ وآل بيته الكرام، عشرات الآلاف ليوصلوا لك الإسلام فولدت بين أبوين مسلمين، ولدت بين أبوين مؤمنين، رسول الله مع صحابته ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة تُعذّب النساء ويعذّب الرجال وحتى الشباب:

-يأتي أبو جهل بحربةٍ فيطعن أم سيدنا عمار بن ياسر سيدتنا -سمية رضي الله عنها- يَطعنها بحربة من فرجها فتخرج الحربة من ظهرها، أنت ماذا تفعل؟ ما المطلوب منكم؟ ماذا تظنون أيها الشباب أن تفعلوا مثل ذلك؟ المطلوب منك أن تستعذ بالله وأن تقرأ أذكارك، وكن مع الله.

-والد سيدنا عمار بن ياسر -سيدنا ياسر- مات تحت التعذيب في مكة المكرمة من مشركي قريش عبدة الأصنام والأوثان.

-سيدنا عمار بن ياسر لاقى أشد أنواع العذاب.

-تُوضع الصخرة العظيمة في حر الرمضاء في الشمس لا في الظل في شبه جزيرة العرب في مكة -وأنت تعلم ما معنى هذا الكلام- في الحر الشديد الصخرة العظمية تُوضع فوق بطن بلال الحبشي، وهو صامدٌ يقول: أحدٌ أحد.

-سيدنا مصعب بن عمير هذا الشاب في ريعان شبابه ومقتبل عمره، تُحدِّثُك كتب الصحابة -كالاستيعاب لابن عبد البرّ، والإصابة لابن حجر العسقلاني، وغيرها- تُحَدِّثُك كتب السيرة -كسيرة ابن إسحاق وابن هشام- أن مكة المكرمة لم تكن تعرف أبداً في كل حناياها وزواياها شاباً مُنَعَّمَاً مُرَفَّهاً كمصعب بن عمير، كان يأتي بالعطر من الهند ومن الشام، ويشترط على البائع ويقول له: إذا كان هناك مَن يتعطّر بهذا العطر ويتطيب بهذا الطيب مِن نفس النوع غيري لا أشتريه، فيشتريه مصعب شَريطة أن لا يَضعه أحد في مكة، حتى تكون رائحته مميزة، هذا العطر لا يضعه غيري، حتى إذا مَرَّ مِن مكان يَعرف الناس أن مصعب بن عمير قد مرّ، ما هذا الدَّلال؟ يَدخل في دين الله، ويُسلم ويَحسن إسلامه، تأتي أمه خِنَاس بنت مالك -وكانت امرأةً قوية شديدة- تَحبِسُه في ركن في بيتها وتَمنع عنه الطعام والشراب، لا يُثنيه ذلك عن دينه، هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، تصور المشاقّ، لا طيارات ولا سيارات ولا قطارات، وركوب في البحر، ولم يتغير موقفها، حلول مراراً وتكراراً معها أن تدخل في دين الله وأن تترك عبادة الأصنام والأوثان، لم يفلح، عَادَتْهُ ثم ودعها مهاجراً إلى المدينة، وكان أول سفير في لإسلام، هل تعلمون أن سيدنا مصعب بن عمير له الفضل الكبير بإسلام كبار الصحابة في المدينة المنورة من الأوس والخزرج؟ يعني أن الإسلام الذي وصلنا قام على سيد الخلق مُحَمَّد ﷺ رسول الله ونبي الله وعلى أكتاف هؤلاء الصحابة وآل البيت، على عواهنهم، بجهودهم، بصبرهم، بإيثارهم لبعضهم، قام هذا الإسلام وقانت دولة الإسلام في المدينة، ثم وصلنا على طبق من ذهب.

-يُقتل ويستشهد سيدنا مصعب بن عمير في غزوة أُحد، ويأتي ابن قمئة يَقطع يده اليمنى التي يمسك بها الراية، وكانت راية المسلمين في غزوة أُحد مع سيدنا مصعب بن عُمير قبل أن تكون مع سيدنا علي بن أبي طالب، فيَقطع يمينه فيأخذ الراية بشماله، لأن الراية إذا سقطت كانت بداية الهزيمة في وقتهم، عندما يسقط العلم معنى ذلك أن الجيش انهزم، فوراً يَجب أن ترتفع الراية ولا يَسقط العلم على الأرض، وهذا مِن عادة الحروب في زمانهم، يأخذ الراية بشماله، فيأتي ابن قمئة فيقطع شمال، فيضمها إلى صدره، ثم يسقط مستشهداً في غزوة أحد، فيعطي سيدنا رسول الله الراية لعليّ، وتنتهي المعركة، ورسول الله يبحث بين القتلى وبين الجرحى، فيقف عند رأس مصعب بن عمير الذي لم يأخذ من دنياه شيئاً، شاب في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، مات في الثلاثة والعشرين، وجد يديه مقطوعتين، وإذا الدم يَخضب جسده، يَقف رسول الله عند رأسه ويبكي، ويقول: والله لقد رأيته بمكة، والله ما رأيت شاباً مُنعّماً مثله، وها هو اليوم يموت، أتوا بغطاء ليغطوه لم يجدوا، وجدوا قطعة قماش صغيرة، إذا غطوا رجليه بدا رأسه، وإذا غطوا رأسه بدت رجلاه، ماذا نعمل نحن؟ ماذا نظن أنفسنا؟ نحن ولا شيء، لا نقوم بشيء في سبيل هذا الدين، وفي سبيل هذه الأمة، المطلوب أن تجاهد نفسك، وأن تجاهد الشيطان، شيء عجيب، هذا الأمر أنت تطلبه، تطلب أن تكون مع الله، لأنه لا حزب ثالثاً، ربنا قال في قرآننا الكريم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُون﴾ [المجادلة: ١٩] لا يوجد ثالث، أنت هنا أو هنا، حَدِّد، أنت مع الله؟ ماذا تفعل؟ ماذا تقدم لنفسك قبل أن تقدمه لأمتك؟.

قُلنا في الخطبة الماضية: إن كثيراً مِن الناس يأتون إلى هذه الدنيا ويرحلون عنها ولا يعلمون أحد بهم، ولكن لا يجوز أن نكون من هؤلاء، إذا قرأنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة الكرام وسيرة أهل البيت الأطهار، إذا قرأنا سيرة

الخلفاء الراشدين، إذا قرأنا ما كان عليه التابعون وتابعو التابعين، من صبرهم وهمتهم وعلمهم ودأبهم ونشاطهم ونظامهم نَستصغر أنفسنا، ثم نرى أننا لا شيء، لَكن لا يَجوز أن نمضي من هذه الدنيا قبل أن نضع بصمه، كل واحد بيننا يَجب أن يَضع بَصمة في هذه الحياة، قبل أن ينتقل إلى الحياة الآخرة، لِيَنفع دينه، ليكون صاحب قضية، نَعيش لنأكل ونشرب، زواج وأولاد وزوجة وبيت، وماذا بعد؟ ماذا عملت؟ ثم بَعد ذلك يأتي كثير من الشبان يسأل: كيف النجاة؟ والنَّجاة بسيطة، حتى بهذه البساطة ولا يوجد من يقوم بها، وأقول لكم -أيها الإخوة- هُناك شيء يَجب أن نفهمه: أنت أيها الشاب وأنت أيتها الفتاة: ماذا تريدين من الحياة الدنيا، ماذا تريد من الحياة الدنيا؟ قال: عيشة سعيدة وهنية، أكلة ظريفة، ولباساً جيداً، وزوجة صالحة، وأن يكرمني اللهُ بأولاد، أريد بيتاً، أريد سيارةً، السبيل هو الله، الطريقة الوحيدة لذلك برضا الله، أن لا يكون الله ساخطاً عليك، أن تتبع رضوان الله، يعني أنت تفكر أنه بالمعاصي والآثام أو أكل الحرام أو انتهاك المخالفات الشرعية أو فعل المخالفات الشرعية أنت ممكن أن تحقق الدنيا وأنت سعيد؟ ربنا يقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

سأقرأ عليكم بعض آيات فقط وكلكم يحفظها:

الآية الأولى: وهي قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ سيأتي محط الشاهد، كل الآيات فيها شاهد، لكن الشاهد هنا ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ نحن لا نتركك، أنت تظن أننا نتركك في الدنيا؟ ماذا تريد؟ ((عبدي كُن لي كما أريد أكن لك كما تريد)) هكذا يقول الله لك عز وجل: ((عبدي كن لي كما أريد)) كن كما أمرتك، اطلب ما تريد أعطيك، ((أكن لك كما تريد)) أعطيك ما تريد، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

الآية الأخرى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ماذا تريد من الله؟ كل شيء تريده من الله يأتيك بطاعة الله، فإذا كنت طالب دنيا أو أن الدنيا تأخذ منك حَيّزاً كبيراً مِن التفكير فكن مع الله تضمن الدنيا وتضمن الآخرة.

نَسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم مِن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، استغفروا الله يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف